مع العلامة الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس في ذكراه[*]

بقلم: الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي

جامعة باتنة ـ الجزائر

من حق المؤرخ والمفكر الإسلامي الراحل الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله، علينا نحن الجزائريين، أن نحيي ذكراه، ونبرز مآثره، وذلك لما كان للجزائر من مكانة في نفسه، ولما كان يخص به العلماء والباحثين الجزائريين من حفاوة وإكرام واهتمام، عرف ذلك كل من كانت له صلة بهذا العالم والمفكر الفذ، الذي تمر بنا هذه الأيام الذكرى الثانية لوفاته، حيث إنه فارق الدنيا مساء يوم الجمعة 14 محرم 1433هـ، الموافق 9 ديسمبر عام 2011م، بعد معاناة طويلة مع المرض.

من هو عبد الحليم عويس؟

هو عبد الحليم بن عبد الفتاح بن محمد عويس، وشهرته عبد الحليم عويس.

ولد في قرية سندسيس التابعة لمدينة المحلة الكبرى محافظة الغربية بدلتا مصر، يوم الإثنين 9 رجب 1362هـ، الموافق 12 جويلية 1943م. كان والده رجلا متواضعا ومتدينا، فقد كان إماما وخطيبا بأحد المساجد، وكان حريصا على الدعوة إلى الله منطلقا من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، وكان له الفضل في تشييد عدة مساجد بالقرية..

ألحق هذا الوالد ابنه عبد الحليم بكتاب القرية، ثم بالمدارس الأزهرية، حيث تدرج في مراحل التعليم حتى حصل على الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1968م، ثم على الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية سنة 1973م، وعلى الدكتوراه في نفس التخصص (مارس 1978)، من الكلية نفسها.

وقد كانت له صلة وثيقة بعدد من أعلام التاريخ والفكر الإسلامي المعاصر في مصر، وبخاصة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، حيث كان يتصل به ويتتلمذ عليه، منذ شبابه الباكر، وظل يلازمه حتى وفاة الشيخ رحمه الله.

عمل عبد الحليم عويس باحثًا بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية بالكويت في الفترة ما بين 1971 - 1975م، ثم محاضرًا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين 1975 - 1977م، وبعد حصوله على الدكتوراه عاد إلى الجامعة السابقة نفسها، حيث عُيِّن أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا مشاركًا، ثم أستاذًا، وظل يدرس بها حتى سنة 1994م.

---

[*] ـ مقال منشور في جريدة البصائر، العدد 682، ليوم الإثنين 5 صفر 1434هـ، الموافق 4 ديسمبر2013م، ص: 5.

عاد بعد ذلك إلى القاهرة، والتحق بجامعة الزقازيق مدرسا ومشرفا على الرسائل العلمية، كما انضم إلى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة التي كلفته برئاسة تحرير مجلتها الشهرية "التبيان" وإدارة ندوتها الشهرية التي كان يستضيف فيها كل مرة عددا من العلماء والمفكرين لدراسة قضية من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية.

عرف بمشاركاته الكثيرة في الملتقيات والمؤتمرات الدولية في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، وحتى في دول أوروبا وأمريكا، كما عرف بمؤلفاته المتميزة في أسلوبها وموضوعاتها، حيث عالج فيها أهم القضايا المطروحة على العقل المسلم المعاصر، وقد بلغت كتبه أزيد من خمسين كتابا..

وإلى جانب المؤلفات؛ كتب عشرات البحوث الأكاديمية والإبداعية، ومئات المقالات في الصحف العربية والإسلامية، وسجَّل مئات الأحاديث بإذاعة القرآن الكريم بمصر وغيرها. وكان عضوا مؤسسا لرابطة الأدب الإسلامي فرع القاهرة، وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو اتحاد الكتاب بمصر، وعضو نقابة الصحفيين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب.

كما اشترك في عدد من المشاريع الثقافية الكبيرة، حيث أشرف على عمل موسوعة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأُنجز موسوعة موجزة للجامعة الأمريكية المفتوحة، بالتعاون مع مساعدين له من الباحثين في التاريخ. وقام - بالاشتراك مع أربعة أساتذة - بالإشراف العلمي على (موسوعة الإدارة العربية الإسلامية) لحساب المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، في ثلاثة عشر جزءا (7 مجلدات)، وكان مسؤولاً ومسهمًا رئيسًا في إعداد مواد (إدارة الجيش والقضاء والشرطة وإدارة التنظيمات المهنية والحرفية العربية الإسلامية (النقابات) في الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي). وأشرف على إنجاز (معجم مصطلحات علوم القرآن) لحساب دار الوفاء بالقاهرة، وأسهم بإعداد بعض المواد العلمية، فضلاً عن مسئوليته عن إنجازها.

وقد حظي عبد الحليم عويس - قبل وفاته - بالتكريم على جهوده وأعماله، فقد منحته إحدى الجامعات بأمريكا اللاتينية درجة الدكتوراه الفخرية، كما كرمه الرئيس السوداني عمر البشير بأعلى وسام في جمهورية السودان.

علاقته بالجزائر:

تعود صلة العلامة الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله بالجزائر إلى الستينيات من القرن الماضي، حيث كان من بين أعضاء البعثة التعليمية التي جاءت إلى الجزائر لتغطية النقص الذي كانت تعاني منه المؤسسات التعليمية الجزائرية في الأساتذة والمعلمين ذوي التكوين العربي والإسلامي، وكان من حظه أن يُعين في مدينة آفلو، حيث درَّس في المعهد الإسلامي الذي كان قائما بها، لكن مقامه فيها لم يطل، إذ عاد بعد سنة دراسية واحدة إلى القاهرة لمواصلة دراساته العليا في كلية دار العلوم. يقول رحمه الله عن تجربته تلك: "مكثت سنة في الجزائر، وكان الناس كراما جدا معي، فقد كنا كأسرة واحدة، وكانوا يعتبرونني واحدا منهم".

تجددت علاقة عبد الحليم عويس بالجزائر، بعد ذلك، عندما اختار موضوع بحثه لإعداد رسالة الماجستير، حيث كان الموضوع "دولة بني حماد في الجزائر"، وهو ما جعله يزور الجزائر عدة مرات لجمع مادة بحثه والالتقاء بالمؤرخين والعلماء الجزائريين للاستفادة مما عندهم من معلومات متعلقة بالموضوع.

وبعد انتهائه من إعداد الرسالة وحصوله على شهادة الماجستير، وكذلك حصوله على الدكتوراه، لم تنقطع صلته بالجزائر، بل بقيت متواصلة من خلال مشاركاته المستمرة في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد في الجزائر في صائفة كل سنة، حيث كانت له في كل ملتقى إسهاماته المتميزة، سواء من خلال البحث الذي يلقيه أو التعقيبات التي يشارك بها في إثراء المحاضرات.

وقد ساعدته طبيعتُه المَرِحَة وتواضعُه الجمُّ في ربط علاقات مودة ومحبة مع كثير من الجزائريين، علماء وباحثين وطلبة، خلال تلك المرحلة.

وبعد توقف ملتقيات الفكر الإسلامي، لم تنقطع صلة عبد الحليم عويس بالجزائر، إذ سرعان ما تجددت من خلال مشاركاته في الملتقيات الأكاديمية التي أصبحت تعقدها معاهد العلوم الإسلامية في الجزائر، خاصة المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران، حيث شارك في كل الملتقيات التي عقدت بهذا المعهد لما كان تحت إدارة الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكري. ولا تزال الكتب الجامعة لأعمال ملتقيات الفكر الإسلامي شاهدة على بحوثه وتعقيباته، وكذلك مجلة الحضارة الإسلامية بجامعة وهران. كما لا يزال عدد من علماء الجزائر يذكرونه بالإجلال والتقدير، لما عرفوه عنه من سمو الأخلاق وكرم النفس، ومنهم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي، والأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم، وغيرهما.

تعرفي عليه وصلتي به:

تعرفت إلى الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله، أولا من خلال كتاباته، حيث كان أول كتاب قرأته له هو "الإسلام أولا"، ثم توالت قراءاتي لمؤلفاته، ومنها كتاب "دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر"، وكتاب "العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري"، وكتاب "المسلمون في معركة البقاء"، وغيرها من المؤلفات المتميزة في موضوعاتها وأسلوب تأليفها.

لكن أول لقاء مباشر لي بالدكتور عبد الحليم عويس إنما كان في رحاب المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية بوهران، بمناسبة الملتقى الدولي حول "المصطلح العلمي في التراث الإسلامي" الذي عقد أيام: 2 و3 و4 من ذي الحجة 1416هـ، الموافق لـ: 20 و21 و22 أبريل 1996م، حيث بهرني بتواضعه واهتمامه بكل من يلتقي به، وقد شرفني بالتعقيب والثناء على مداخلتي في الملتقى، رغم أنها كانت أول مشاركة لي في ملتقى دولي. وخلال أيام الملتقى كانت لي معه أحاديث في شؤون مختلفة، خاصة حول أستاذه الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي كانت وفاته قبل أكثر من شهر حينئذ، وقد تجرأت فطلبت منه أن يرسل لي الكتاب الذي ألفه عنه بالاشتراك مع كل من الدكتور عماد الدين خليل والدكتور رمضان عبدالتواب والدكتور

محفوظ عزام، وكذا كتاب الدكتور يوسف القرضاوي "الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن" الذي كان قد صدر في تلك الأيام.

لم تمض سوى أيام قليلة على عودة الدكتور عبد الحليم عويس إلى القاهرة وعودتي إلى باتنة، حتى وصلني الكتابان بالبريد المضمون، وهو ما رفع مقام هذا الرجل في نفسي وجعل حبه يتمكن من شغاف قلبي منذ ذلك الحين.

ولأني كنت مهتما كثيرا بالشيخ محمد الغزالي رحمه الله وبإنتاجه الفكري، وخاصة جهوده في التفسير الموضوعي للقرآن، فقد قررت أن أؤلف كتابا في هذا الموضوع، وقد أفادني الكتابان المذكوران في ذلك أيما إفادة. ولم تمض مدة طويلة حتى أنهيت تأليف الكتاب، وقد خطر في بالي حينئذ أن أعرضه على الدكتور عبد الحليم لعله يساعدني في نشره في مصر، وبالفعل ما إن جاء موعد الملتقى الدولي حول "الإنسان في الكتب السماوية"، المنظم من قبل المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بوهران، أيام: 23 و24 و25 رجب 1418 هـ، الموافق لأيام: 23 و24 و25 نوفمبر 1997م، الذي قُبلت مشاركتي فيه، وبعد تأكدي من مشاركة الدكتور عبد الحليم، حتى حملت الكتاب معي وتوجهت إلى وهران، وهناك سلمته للدكتور عبد الحليم وطلبت منه أن ينظر فيه وفي إمكانية مساعدتي في نشره، ولم يتردد في القبول، حيث طلب مني أن أكتب له توكيلا ليتولى نشره، وهو ما كان، ولم تمض مدة طويلة حتى صدر الكتاب في نشر مشترك بين دار الصحوة في القاهرة ودار الوفاء في المنصورة، في حلة قشيبة، وبتقريظ من الدكتور عبد الحليم. وقد فوجئت بطرد بريدي يصلني من القاهرة يحتوي ثلاثين نسخة من الكتاب، وهو ما ترك في نفسي أثرا عميقا، وجعل صلتي به تزداد توثقا وارتباطا.

وعندما زرت القاهرة أول مرة، سنة 1999م، اتصلت به في بيته بالمحلة، فحدد لي موعدا في مدينة نصر، في بيت كان يقيم فيه طلبة أتراك، وبالفعل التقينا هناك وسعدت بالجلوس إليه في حلقة علمية كان يعقدها مع هؤلاء الطلبة، وفي هذا اللقاء أهداني بعض كتبه.. توالت زياراتي للقاهرة بعد ذلك، وكنت كلما حللت بها أتصل بالدكتور عبدالحليم وأزوره في بيته، بالعجوزة أحيانا وبمدينة نصر أحيانا أخرى، وفي كل مرة كان يكرمني غاية الإكرام ويأبى إلا أن يدفع لي ثمن أجرة السيارة التي كنت أستقلها إليه، ذهابا وإيابا، إضافة إلى الكتب التي كنت أحصل عليها من عنده في كل مرة.

وقد سعدنا بزيارته لكليتنا في باتنة، بمناسبة الملتقى الدولي حول (الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري: الواقع والآفاق)، الذي نظمناه أيام: 25، 26، 27 ربيع الأول 1425هـ، الموافق: 15، 16، 17 ماي 2004م، حيث استجاب لدعوتنا وقدم في الملتقى بحثا بعنوان "ماذا يقدم المسلمون للحضارة المعاصرة؟"، وكان حضوره فرصة للأساتذة والباحثين والطلبة للالتقاء به والتعرف عليه عن قرب.

وذات مرة اتصلت به من الجزائر، وبعد السلام والتحية لامني وعاتبني وقال لي إنه "زعلان مني" لأني لم أعزه في وفاة زوجته "أم أحمد" رحمها الله، فاعتذرت له بعدم معرفتي بوفاتها، فقبل مني اعتذاري. وفي زيارة له إلى قسنطينة بمناسبة ملتقى دولي نظمته جمعية العلماء في القاعة الكبرى بجامعة الأمير عبد القادر سنة 2006، لاحظ غيابي، فاتصل بي من

خلال هاتف أخينا الأستاذ الدكتور عمار جيدل، وعزم عليَّ أن أحضر في اليوم الموالي، وسافرت فعلا إلى قسنطينة حيث التقيت به وأمضينا معا يوما كاملا، وقد كان هذا الموقف منه ـ بلاشك ـ أمارة من أمارات تواضعه وكرم نفسه وسمو أخلاقه.

وفي إحدى زياراتي إلى القاهرة، اتصلت به فدعاني إلى تناول الغداء عنده في بيته، فاعتذرت له لأني كنت مع مجموعة من الزملاء، فطلب مني أن أدعوهم إليه نيابة عنه، وكنا سبعة أشخاص، وزرناه في بيته بمدينة نصر وتناولنا وجبة الغداء عنده، وكانت لنا جلسة رائعة معه.. وفي آخر مرة زرته فيها، وكان في مكتبه بمقر الجمعية الشرعية، لأنه كان رئيس تحرير مجلة "التبيان" التي تصدرها الجمعية، قضيت معه صبيحة كاملة، وأصر عليَّ أن أتناول الغداء معه، فأرسل أحد الإخوة وجاءنا بالغداء، ولما أردت أن استأذن في الانصراف، سألني عن زملائي الذين جاؤوا معي من الجزائر، فأخبرته بأنهم ستة أشخاص، فأبى إلا أن يرسل معي مبلغ ثلاثمائة جنيه وأن أوزعه عليهم، ورغم أني حاولت عدم أخذ المبلغ إلا أنه أصر على ذلك، وقال لي: اعتبر أنكم جئتم جميعا إلي وأني أكرمتكم بغداء عندي.

وفي السنوات الأخيرة من حياته، وخاصة بعد وفاة زوجته التي عانت كثيرا من المرض قبل ذلك، ألم به مرض خطير أنهك قواه وقلل من نشاطه، لكنه واجهه بكل صبر واحتساب، وظل يتحرك في الساحة الإسلامية متكبدا الآلام والمشاق. ولم تنقطع صلتي به، حيث كنت أتصل به مرة بعد مرة للاطمئنان عليه.

وآخر مرة اتصلت به فيها، كانت في بداية شهر ديسمبر سنة 2011م، حيث رد عليَّ بصعوبة وكان صوته ضعيفا، حتى إنه لم يتمكن من إنهاء المكالمة. ولم تمض سوى أيام قليلة على تلك المكالمة حتى قرأت نبأ رحيله وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، عليه رحمة الله.

ومن باب الوفاء للرجل، وإبرازا لأحد جوانب فكره، كتبت عنه بحثا وأرسلته إلى أحد الزملاء لنشره في كتاب عن الدكتور عبدالحليم وجهوده في مختلف العلوم العربية والإسلامية، إلا أن ذلك الكتاب لم يصدر لحد الآن لعدم وفاء بعض الأساتذة المستكتبين بما وعدوا به من بحوث ومقالات، وكان البحث بعنوان: "الرؤية الحضارية في دراسة السيرة النبوية عند عبد الحليم عويس"، ولعلي أبادر إلى نشره في إحدى المجلات بعد مراجعته من جديد.. وإني لأرجو أن يبادر محبو الرجل وعارفوه، من زملاء وتلاميذ ومحبين، إلى تأليف كتاب شامل عنه يعالج مختلف جوانب حياته وفكره، فهو جدير بهذا وأكثر.

رحم الله الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، وجازاه بأحسن الجزاء على ما قدم من أعمال وما بذل من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين، وجعل الجنة مثواه، في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

مع العلامة الدكتور عبد الحليم عويس في ذكراه

بقلم: الأستاذ الدكتور مسعود فلوسي

من حق المؤرخ والمفكر الإسلامي الراحل الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، رحمه الله، علينا نحن الجزائريين، أن نحيي ذكراه، ونبرز مآثره، وذلك لما كان للجزائر من مكانة في نفسه، ولما كان يخص به العلماء والباحثين الجزائريين من حفاوة وإكرام واهتمام، عرف ذلك كل من كانت له صلة بهذا العالم والمفكر الفذ، الذي تمر بنا هذه الأيام الذكرى الثانية لوفاته، حيث إنه فارق الدنيا مساء يوم الجمعة 14 محرم 1433هـ، الموافق 9 ديسمبر عام 2011م، بعد معاناة طويلة مع المرض.

من هو عبد الحليم عويس؟

هو عبد الحليم بن عبد الفتاح بن محمد عويس، وشهرته عبد الحليم عويس.

ولد في قرية سندسيس التابعة لمدينة المحلة الكبرى محافظة الغربية بدلتا مصر، يوم الاثنين 9 رجب 1362هـ، الموافق 12 جويلية 1943م. كان والده رجلا متواضعا ومتدينا، فقد كان إماما وخطيبا بأحد المساجد، وكان حريصا على الدعوة إلى الله منطلقا من الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، وكان له الفضل في تشييد عدة مساجد بالقرية..

ألحق هذا الوالد ابنه عبد الحليم بكتاب القرية، ثم بالمدارس الأزهرية، حيث تدرج في مراحل التعليم حتى حصل على الليسانس من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في اللغة العربية والعلوم الإسلامية سنة 1968م، ثم على الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية سنة 1973م، وعلى الدكتوراه في نفس التخصص (مارس 1978)، من الكلية نفسها.

وقد كانت له صلة وثيقة بعدد من أعلام التاريخ والفكر الإسلامي المعاصر في مصر، وبخاصة الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، حيث كان يتصل به ويتتلمذ عليه، منذ شبابه الباكر، وظل يلازمه حتى وفاة الشيخ رحمه الله.

عمل عبد الحليم عويس باحثًا بمراقبة المناهج وبمركز بحوث المناهج والدراسات التربوية بالكويت في الفترة ما بين 1971 - 1975م، ثم محاضرًا لمادة الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في الفترة ما بين 1975 - 1977م، وبعد حصوله على الدكتوراه عاد إلى الجامعة السابقة نفسها، حيث عُيِّن أستاذًا مساعدًا، ثم أستاذًا مشاركًا، ثم أستاذًا، وظل يدرس بها حتى سنة 1994م.

عاد بعد ذلك إلى القاهرة، والتحق بجامعة الزقازيق مدرسا ومشرفا على الرسائل العلمية، كما انضم إلى الجمعية الشرعية لتعاون العاملين بالكتاب والسنة التي كلفته برئاسة تحرير مجلتها الشهرية «التبيان» وإدارة ندوتها الشهرية التي كان يستضيف فيها كل مرة عددا من العلماء والمفكرين لدراسة قضية من القضايا المطروحة على الساحة الإسلامية.

عرف بمشاركاته الكثيرة في الملتقيات والمؤتمرات الدولية في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، وحتى في دول أوروبا وأمريكا، كما عرف بمؤلفاته المتميزة في أسلوبها وموضوعاتها، حيث عالج فيها أهم القضايا المطروحة على العقل المسلم المعاصر، وقد بلغت كتبه أزيد من خمسين كتابا..

وإلى جانب المؤلفات؛ كتب عشرات البحوث الأكاديمية والإبداعية، ومئات المقالات في الصحف العربية والإسلامية، وسجَّل مئات الأحاديث بإذاعة القرآن الكريم بمصر وغيرها، وكان عضوا مؤسسا لرابطة الأدب الإسلامي فرع القاهرة، وعضو مجلس أمناء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وعضو اتحاد الكتاب بمصر، وعضو نقابة الصحفيين، وعضو اتحاد المؤرخين العرب.

كما اشترك في عدد من المشاريع الثقافية الكبيرة، حيث أشرف على عمل موسوعة للتاريخ الإسلامي عبر العصور، وأنجز موسوعة موجزة للجامعة الأمريكية المفتوحة، بالتعاون مع مساعدين له من الباحثين في التاريخ. وقام - بالاشتراك مع أربعة أساتذة ـ بالإشراف العلمي على (موسوعة الإدارة العربية الإسلامية) لحساب المنظمة العربية للتنمية الإدارية التابعة لجامعة الدول العربية، في ثلاثة عشر جزءا (7 مجلدات)، وكان مسؤولاً ومسهمًا رئيسًا في إعداد مواد (إدارة الجيش والقضاء والشرطة وإدارة التنظيمات المهنية والحرفية العربية الإسلامية (النقابات) في الحضارة الإسلامية عبر مراحل التاريخ الإسلامي)، وأشرف على إنجاز (معجم مصطلحات علوم القرآن) لحساب دار الوفاء بالقاهرة، وأسهم بإعداد بعض المواد العلمية، فضلاً عن مسئوليته عن إنجازها.

وقد حظي عبد الحليم عويس ـ قبل وفاته ـ بالتكريم على جهوده وأعماله، فقد منحته إحدى الجامعات بأمريكا اللاتينية درجة الدكتوراه الفخرية، كما كرمه الرئيس السوداني عمر البشير بأعلى وسام في جمهورية السودان.

علاقته بالجزائر

تعود صلة العلامة الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله بالجزائر إلى الستينيات من القرن الماضي، حيث كان من بين أعضاء البعثة التعليمية التي جاءت إلى الجزائر لتغطية النقص الذي كانت تعاني منه المؤسسات التعليمية الجزائرية في الأساتذة والمعلمين ذوي التكوين العربي والإسلامي، وكان من حظه أن يُعين في مدينة آفلو، حيث درَّس في المعهد الإسلامي الذي كان قائما بها، لكن مقامه فيها لم يطل، إذ عاد بعد سنة دراسية واحدة إلى القاهرة لمواصلة دراساته العليا في كلية دار العلوم، يقول رحمه الله عن تجربته تلك: «مكثت سنة في الجزائر، وكان الناس كراما جدا معي، فقد كنا كأسرة واحدة، وكانوا يعتبرونني واحدا منهم».

تجددت علاقة عبد الحليم عويس بالجزائر، بعد ذلك، عندما اختار موضوع بحثه لإعداد رسالة الماجستير، حيث كان الموضوع «دولة بني حماد في الجزائر»، وهو ما جعله يزور الجزائر عدة مرات لجمع مادة بحثه والالتقاء بالمؤرخين والعلماء الجزائريين للاستفادة مما عندهم من معلومات متعلقة بالموضوع.

وبعد انتهائه من إعداد الرسالة وحصوله على شهادة الماجستير، وكذلك حصوله على الدكتوراه، لم تنقطع صلته بالجزائر، بل بقيت متواصلة من خلال مشاركاته المستمرة في ملتقيات الفكر الإسلامي التي كانت تعقد في الجزائر في صائفة كل سنة، حيث كانت له في كل ملتقى إسهاماته المتميزة، سواء من خلال البحث الذي يلقيه أو التعقيبات التي يشارك بها في إثراء المحاضرات.

وقد ساعدته طبيعتُه المَرِحَة وتواضعُه الجمُّ في ربط علاقات مودة ومحبة مع كثير من الجزائريين، علماء وباحثين وطلبة، خلال تلك المرحلة.

وبعد توقف ملتقيات الفكر الإسلامي، لم تنقطع صلة عبد الحليم عويس بالجزائر، إذ سرعان ما تجددت من خلال مشاركاته في الملتقيات الأكاديمية التي أصبحت تعقدها معاهد العلوم الإسلامية في الجزائر، خاصة المعهد العالي للحضارة الإسلامية بوهران، حيث شارك في كل الملتقيات التي عقدت بهذا المعهد لما كان تحت إدارة الأستاذ الدكتور عبد الكريم بكري. ولا تزال الكتب الجامعة لأعمال ملتقيات الفكر الإسلامي شاهدة على بحوثه وتعقيباته، وكذلك مجلة الحضارة الإسلامية بجامعة وهران.

كما لا يزال عدد من علماء الجزائر يذكرونه بالإجلال والتقدير، لما عرفوه عنه من سمو الأخلاق وكرم النفس، ومنهم: الأستاذ الدكتور عمار طالبي، والأستاذ الدكتور عبدالرزاق قسوم، وغيرهما.

تعرفي عليه وصلتي به

تعرفت إلى الدكتور عبد الحليم عويس رحمه الله، أولا من خلال كتاباته، حيث كان أول كتاب قرأته له هو «الإسلام أولا»، ثم توالت قراءاتي لمؤلفاته، ومنها كتاب «دولة بني حماد صفحة رائعة في تاريخ الجزائر»، وكتاب «العقل المسلم في مرحلة الصراع الفكري»، وكتاب «المسلمون في معركة البقاء»، وغيرها من المؤلفات المتميزة في موضوعاتها وأسلوب تأليفها.

لكن أول لقاء مباشر لي بالدكتور عبد الحليم عويس إنما كان في رحاب المعهد الوطني العالي للحضارة الإسلامية بوهران، بمناسبة الملتقى الدولي حول «المصطلح العلمي في التراث الإسلامي» الذي عقد أيام: 2 و3 و4 من ذي الحجة 1416هـ، الموافق لـ: 20 و21 و22 أبريل 1996م، حيث بهرني بتواضعه واهتمامه بكل من يلتقي به، وقد شرفني بالتعقيب والثناء على مداخلتي في الملتقى، رغم أنها كانت أول مشاركة لي في ملتقى دولي. وخلال أيام الملتقى كانت لي معه أحاديث في شؤون مختلفة، خاصة حول أستاذه الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله الذي كانت وفاته قبل أكثر من شهر حينئذ، وقد تجرأت فطلبت منه أن يرسل لي الكتاب الذي ألفه عنه بالاشتراك مع كل من الدكتور عماد الدين خليل والدكتور رمضان عبد التواب والدكتور محفوظ عزام، وكذا كتاب الدكتور يوسف القرضاوي «الشيخ الغزالي كما عرفته رحلة نصف قرن» الذي كان قد صدر في تلك الأيام. لم تمض سوى أيام قليلة على عودة الدكتور عبد الحليم عويس إلى القاهرة وعودتي إلى باتنة، حتى وصلني الكتابان بالبريد المضمون، وهو ما رفع مقام هذا الرجل في نفسي وجعل حبه يتمكن من شغاف قلبي منذ ذلك الحين.

ولأني كنت مهتما كثيرا بالشيخ محمد الغزالي رحمه الله وبإنتاجه الفكري، وخاصة جهوده في التفسير الموضوعي للقرآن، فقد قررت أن أؤلف كتابا في هذا الموضوع، وقد أفادني الكتابان المذكوران في ذلك أيما إفادة. ولم تمض مدة طويلة حتى أنهيت تأليف الكتاب، وقد خطر في بالي حينئذ أن أعرضه على الدكتور عبد الحليم لعله يساعدني في نشره في مصر، وبالفعل ما إن جاء موعد الملتقى الدولي حول «الإنسان في الكتب السماوية»، المنظم من قبل المعهد الوطني للتعليم العالي للحضارة الإسلامية بوهران، أيام: 23 و24 و25 رجب 1418 هـ الموافق لأيام: 23 و24 و25 نوفمبر 1997م، الذي قُبلت مشاركتي فيه، وبعد تأكدي من مشاركة الدكتور عبد الحليم، حتى حملت الكتاب معي وتوجهت إلى وهران، وهناك سلمته للدكتور عبد الحليم وطلبت منه أن ينظر فيه وفي إمكانية مساعدتي في نشره، ولم يتردد في القبول، حيث طلب مني أن أكتب له توكيلا ليتولى نشره، وهو ما كان، ولم تمض مدة طويلة حتى صدر الكتاب في نشر مشترك بين دار الصحوة في القاهرة ودار الوفاء في المنصورة، في حلة قشيبة، وبتقريظ من الدكتور عبد الحليم. وقد فوجئت بطرد بريدي يصلني من القاهرة يحتوي ثلاثين نسخة من الكتاب، وهو ما ترك في نفسي أثرا عميقا، وجعل صلتي به تزداد توثقا وارتباطا.

وعندما زرت القاهرة أول مرة، سنة 1999م، اتصلت به في بيته بالمحلة، فحدد لي موعدا في مدينة نصر، في بيت كان يقيم فيه طلبة أتراك، وبالفعل التقينا هناك وسعدت بالجلوس إليه في حلقة علمية كان يعقدها مع هؤلاء الطلبة، وفي هذا اللقاء أهداني بعض كتبه.. توالت زياراتي للقاهرة بعد ذلك، وكنت كلما حللت بها أتصل بالدكتور عبدالحليم وأزوره في بيته، بالعجوزة أحيانا وبمدينة نصر أحيانا أخرى، وفي كل مرة كان يكرمني غاية الإكرام ويأبى إلا أن يدفع لي ثمن أجرة السيارة التي كنت أستقلها إليه، ذهابا وإيابا، إضافة إلى الكتب التي كنت أحصل عليها من عنده في كل مرة.

وقد سعدنا بزيارته لكليتنا في باتنة، بمناسبة الملتقى الدولي حول (الإسلام والمسلمون في القرن الخامس عشر الهجري: الواقع والآفاق)، الذي نظمناه أيام: 25، 26، 27 ربيع الأول 1425هـ، الموافق: 15، 16، 17 ماي 2004م، حيث استجاب لدعوتنا وقدم في الملتقى بحثا بعنوان «ماذا يقدم المسلمون للحضارة المعاصرة؟»، وكان حضوره فرصة للأساتذة والباحثين والطلبة للالتقاء به والتعرف عليه عن قرب.

وذات مرة اتصلت به من الجزائر، وبعد السلام والتحية لامني وعاتبني وقال لي إنه «زعلان مني» لأني لم أعزه في وفاة زوجته «أم أحمد» رحمها الله، فاعتذرت له بعدم معرفتي بوفاتها، فقبل مني اعتذاري. وفي زيارة له إلى قسنطينة بمناسبة ملتقى دولي نظمته جمعية العلماء في القاعة الكبرى بجامعة الأمير عبد القادر سنة 2006، لاحظ غيابي، فاتصل بي من خلال هاتف أخينا الأستاذ الدكتور عمار جيدل، وعزم عليَّ أن أحضر في اليوم الموالي، وسافرت فعلا إلى قسنطينة حيث التقيت به وأمضينا معا يوما كاملا، وقد كان هذا الموقف منه ـ بلاشك ـ أمارة من أمارات تواضعه وكرم نفسه وسمو أخلاقه.

وفي إحدى زياراتي إلى القاهرة، اتصلت به فدعاني إلى تناول الغداء عنده في بيته، فاعتذرت له لأني كنت مع مجموعة من الزملاء، فطلب مني أن أدعوهم إليه نيابة عنه، وكنا سبعة أشخاص، وزرناه في بيته بمدينة نصر وتناولنا وجبة الغداء عنده، وكانت لنا جلسة رائعة معه.. وفي آخر مرة زرته فيها، وكان في مكتبه بمقر الجمعية الشرعية، لأنه كان رئيس تحرير مجلة «التبيان» التي تصدرها الجمعية، قضيت معه صبيحة كاملة، وأصر عليَّ أن أتناول الغداء معه، فأرسل أحد الإخوة وجاءنا بالغداء، ولما أردت أن استأذن في الانصراف، سألني عن زملائي الذين جاؤوا معي من الجزائر، فأخبرته بأنهم ستة أشخاص، فأبى إلا أن يرسل معي مبلغ ثلاثمائة جنيه وأن أوزعه عليهم، ورغم أني حاولت عدم أخذ المبلغ إلا أنه أصر على ذلك، وقال لي: اعتبر أنكم جئتم جميعا إلي وأني أكرمتكم بغداء عندي.

وفي السنوات الأخيرة من حياته، وخاصة بعد وفاة زوجته التي عانت كثيرا من المرض قبل ذلك، ألم به مرض خطير أنهك قواه وقلل من نشاطه، لكنه واجهه بكل صبر واحتساب، وظل يتحرك في الساحة الإسلامية متكبدا الآلام والمشاق، ولم تنقطع صلتي به، حيث كنت أتصل به مرة بعد مرة للاطمئنان عليه.

وآخر مرة اتصلت به فيها، كانت في بداية شهر ديسمبر سنة 2011م، حيث رد عليَّ بصعوبة وكان صوته ضعيفا، حتى إنه لم يتمكن من إنهاء المكالمة، ولم تمض سوى أيام قليلة على تلك المكالمة حتى قرأت نبأ رحيله وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، عليه رحمة الله.

ومن باب الوفاء للرجل، وإبرازا لأحد جوانب فكره، كتبت عنه بحثا وأرسلته إلى أحد الزملاء لنشره في كتاب عن الدكتور عبدالحليم وجهوده في مختلف العلوم العربية والإسلامية، إلا أن ذلك الكتاب لم يصدر لحد الآن لعدم وفاء بعض الأساتذة المستكتبين بما وعدوا به من بحوث ومقالات، وكان البحث بعنوان: «الرؤية الحضارية في دراسة السيرة النبوية عند عبد الحليم عويس»، ولعلي أبادر إلى نشره في إحدى المجلات بعد مراجعته من جديد.. وإني لأرجو أن يبادر محبو الرجل وعارفوه، من زملاء وتلاميذ ومحبين، إلى تأليف كتاب شامل عنه يعالج مختلف جوانب حياته وفكره، فهو جدير بهذا وأكثر.

رحم الله الأستاذ الدكتور عبد الحليم عويس، وجازاه بأحسن الجزاء على ما قدم من أعمال وما بذل من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين، وجعل الجنة مثواه، في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.